OPEN ACCESS
Scholars International Journal of Linguistics and Literature
Abbreviated Key Title: Sch Int J Linguist Lit
ISSN 2616-8677 (Print) |ISSN 2617-3468 (Online)
Scholars Middle East Publishers, Dubai, United Arab Emirates
Journal homepage: https://saudijournals.com

Review Article

أحمد مشاري العدواني واتجاهاته الشعرية

البروفيسور الحافظ سيد بديع الدين الصابري[1]*

[1]رئيس قسم اللغة العربية وآدابها, بالجامعة العثمانية ، حيدرآباد – الهند

DOI: 10.36348/sijll.2023.v06i02.002 | **Received:** 26.12.2022 | **Accepted:** 31.01.2023 | **Published:** 04.02.2023

***Corresponding author:** البروفيسور الحافظ سيد بديع الدين الصابري
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها, بالجامعة العثمانية ، حيدرآباد – الهندHead, Department of Arabic
Osmania University Hyderabad, T.S. India

Copyright © 2023 The Author(s): This is an open-access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution **4.0 International License (CC BY-NC 4.0)** which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium for non-commercial use provided the original author and source are credited.

نحمده ونصلّي على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فكان أحمد مشاري العدواني (1922 – 1990م) رائدا من روّاد حركة الفكر والأدب بالكويت وكان شاعرا من الشعراء الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية وحملوا رأية التجديد والدعوة إلى إصلاح المجتمع بحركة التنوير التي أخذت تسري بين شباب العرب بعد أن رأوا ما وصل إليه حالهم من تخلّف في كثير من مناحي الحياة، وقد صقلت العدواني حياة القاهرة التي عاشها في الأزهر للدراسة عشرة أعوام، وأسهم في إثراء الحركة الأدبية بالكويت أثناء وجوده بمصر حيث شارك في تحرير مجلة " البعثة " مع زميله الأستاذ حمد الرجيب (1946م) وتخرّج في الأزهر عام 1949م وباشر التدريس في المدرسة القبلية ثم في ثانوية الشويخ بالكويت، وشارك في إصدار مجلة " الرائد " عن نادي المعلمين.

وإنّ له نشاطا واسعا في عالم الثقافة والأدب، فقد شغل عدّة مناصب في وزارة التربية، فعمل سكرتيرا عاما في إدارة المعارف (1956م) وأسهم وراجع مناهج اللغة العربية ثم انتقل إلى وزارة الإعلام وكيلا مساعدا لشؤون التلفزيون ووكيلا مساعدا للشؤون الفنية (1965م) وأنشأ مركز الدراسات المسرحية، وأصدر سلسلة "من المسرح العالمي" (1969م) وأنشأ المعهد الثانوي والمعهد العالي للموسيقى كما أنشأ المعهد العالي للفنون المسرحيّة، وأصدر مجلة فكرية رفيعة "عالم الفكر" (1970م) و عُيّن أمينا عاما للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (1973م) وأصدر السلسلة الشهيرة "عالم المعرفة" وأصدر ديوان شعره باسم "أجنحة العاصفة" عام 1980م وحصل على جائزة مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي عام 1980م وتوفّي في سنة 1990م [(1)]

وبعد أن توفّي كرّمته مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بإطلا ق اسمه على دورتها الخامسة التي أقيمت من 28 – 31 أكتوبر 1996م في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتّحدة وقد أصدرت عنه دراسات عديدة وهي[(2)] :

1. العدواني - رائدا ومبدعا
2. العدواني - في عيون معاصريه
3. العدواني - صور وكلمات
4. العدواني - الأعمال الشعرية الكاملة
5. مختارات من أجمل أغاني العدواني

اتجاهاته الشعرية : كان أحمد العدواني أعمق الشعراء فكرا وأرهفهم حسّا، وإنه كرّس طاقته الشعرية لنقد الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيش به الأمة الكويتية، ويعتبر رائدا من الروّاد الشعراء الذين لهم مساهمات جبّارة في تقدّم الشعر الكويتي.

امتلأت مسامع الكويتيين ببدائع الشعر في ربع القرن العشرين الأخير فتأثّروا بإبداعاته الشعرية إلى أن قال يعقوب السبعيّ في شعره :

"لقد فاقت شاعرية أحمد العدواني – وهذا رائي الخاص – جميع شعراء الكويت السابقين أمثال فهد العسكر – على عظمته – وصقر الشبيب ومعاصريهم ومن سبقهم أيضا مثل عبد الله وخالد الفرج وأضرابهم".[(3)]

وقد أثّر في العدواني من الشعراء الماضين – كما يقول: ابن الرومي والمعري والمتنبيّ والشريف الرضي وأبو تمام ومن الشعراء المعاصرين: خليل مطران وإيليا أبو ماضي وعلي محمود طه، وإلياس أبو شبكة كما أثّر فيه من الكتاب الماضين: الجاحظ ومن المعاصرين: جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وعباس محمود العقّاد وأحمد حسن الزيّات وأحبّ شاعر في الكويت إليه هو عبد المحسن الرشيد.[(4)]

وإن شعر العدواني متعدّد الملامح، وله قصائد وجدانيّة وفلسفيّة ورومنتيكيّة ورمزيّة وصوفيّة وتقليديّة واعتبره كثير من معاصريه بالمرتبة الأولى شاعرا رمزيا يحاول استكشاف العالم من خلال الرموز، وفي بعض الأحيان كان يسخر في رمزيّة موحية من قيم مجتمعه الزائفة فشعره كان يعلو ويهبط مع ظروف وأحداث عصره السياسيّة.

وكان العدواني نظم مسرحيّة شعريّة سنة 1948م وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وهي بعنوان "مهزلة في مهزلة" كتبها إثر نكبة فلسطين وهي ذات مغزى سياسيّ في ثوب هزليّ، وهي تعتبر المسرحيّة الأولى من نوعها في تاريخ المسرح الكويتي.
وهذه المسرحية تمثّل شباب شاعرية العدواني وإن ديوانه " أجنحة العاصفة " المطبوعة في عام 1980م تمثّل مرحلة النضج الشعري المتكامل.
وكان شديد الرغبة في أن يظلّ المجتمع العربيّ محافظا على هويّته القوميّة بكل ما تحمله هذه الهوية من أفكار الحرّية والوحدة والعدالة، فأراد بأجنحة العاصفة، العاصفة التي تهبّ على المجتمع لتهزّه من الغفلة إلى اليقظة ومن واقع الجمود إلى الحركة ومن عالم الظلم إلى العدل.

وكان شاعرا قلقا يؤلمه واقع العالم العربي من تردّ وتخلّف فيقول من قصيدة له تعكس قلقه وحيرته بعنوان "سراب"[5] :

مرت الأيام تترى ... و قوانا باستلاب
لم نجد إلا عناء ... وشقاء في الطلاب
وهوان السعي ما بيـ ... ـن ارتكاض وارتقاب
أين أحلام العذارى؟ ... أين آمال الشباب؟
أجهز اليأس عليها ... فطواها في التراب
إن من ظُنّ سحابا ... لم يكن غير سراب

وإن الرمزية في شعر العدواني يمثّل الرمزيّة الاجتماعية وهو ليس برمزي خالص يعتزل المجتمع ويعيش في دنيا نفسه، بل يصف حياة المدينة بقسوتها وطغيانها بطريق غير مباشر من خلال الرموز، وينفذ إلى أغوار النفس الإنسانية بأفراحها وأحزانها، وهو ليس بواقعي خالص يقدّر لنا صورة الحياة كما يراها بل إن الاتجاهات التي يتضمّنها شعر العدواني تحمله على الرغبة في الرحيل من العالم الواقعي والبحث إلى عالم مثالي وهو عالم يتمثّل في شيئين، الثورة على الحاضر وإيثار الماضي عليه ثم البحث عن عالم مثالي آخر منقطع الصلة بواقع الحياة المعاصرة.

ومن أمثال الرمزية الممزوجة من التورية السياسية ما استخدم فيها الرعاة والشياة رمزا للحكام والأمة العربية فيقول[6] :

دعاة الشاء! ويحكم أفيقوا ... لقد جلّ المصاب عن التغابي
دعوا أهواءكم وارعوا شياها ... أسأتم رعيها بين المرابي
حميتم دونها خضر المراعي ... فراحت ترتعي شوك اليباب
وأغلقتم مشارعها عليها ... فهامت تستقي لمع السراب
وحكّمتم ذوي الآراب فيها ... وحكم ذوي المآرب ذو استلاب
أفيضوا من مناعمكم عليها ... فإن مطيّكم بحر العباب
وصُونوا حصنها من كل جان ... شديد الأخذ في ظفر وناب

وفي جانب آخر نرى العدواني ناسكا في صومعة الشعر يعتزل المجتمع فلعلّه يطرأ عليه اليأس بما تجاوز الواقع غير ما يتمنّاه، فلذا اعتبر فيصل السعد رمزيّته بين الشمولية والذات، وهذا الرمز رمز هادف كما يقول : "إن استعمال الرمز كفنّ شعري بعيد عن المضمون لا يشكّل إطارا شعريا إذا أن الرمز الهادف هو الذي يشرك القارئ في حل ألغاز هذه الحياة الصعبة إضافة إلى إضفاء جماليّة حديثة على القصيدة من أجل أن تكون أقرب إلى ذهن القارئ [7].

وكثيرا ما نرى العدواني يبحث عن الفرار من الحياة يتمنّى الموت، وذلك ليس بأنه يعتزل المجتمع بل لأنه يبحث الخلاص من المجتمع الذي انحدرت فيه القيم والمبادئ كما يسأل روحه قائلا في قصيدته[8] :

سألت روحي: أي الدار تطلبها ... قالت: سوى الأرض، فيها غاية الطلب
سعادة الروح غير الأرض موطنُها ... وحلية الروح غير الدر والذهب
فقلت: جسمي بظل الأرض مرتبط ... وما له مذهب عن كونه الترب
قالت: إليك فحطمه بلا مهل ... وأدفع بأشلائه في مارج اللهب
وانفذ بذاتك من عيش شقيت به ... ولم تزل عن عواديه على رقب
ومن أناس قد اسودّت ضمائرهم ... وفي خلائقهم ما شئت من ثلب
فقلت: أخشى الردي قالت مؤكّدة ... إني أنا الروح لا خوف من الشجب

ولم يعشق العدواني في حياته شيئا عشقه للوحدة والعزلة والاستغراق في التأمل العميق للنفس وللواقع من حوله، وقد اشتمل ديوانه "أجنحة العاصفة" على العديد من القصائد التي تبدو عليها مسحة صوفيّة وإن التصوف في مفهوم العدواني يتمثّل في السموّ الروحي والصعود إلى مستوى عال من الطهر والنقاء فيقول من قصيدة "شطحات في الطريق"[9]:

يا ريح ! حتّام الغبار يلفّني من لي بريح غير ذات غبار
أو كلّما قاربت صفو شريعة همت عليّ سحائب الأكدار
لا ! لن أحيد عن البذار وإن رعت زرعي الجرادُ بجيشها الجرّار

وقال في مقطوعة يتأمل فيها الشاعر نفسه ليكتشف ما فيها[10]:

حدقت في مرآة نفسي
فلم أجد نفسي
بل لاح لي حشد من الظلال
جميلة الشكل
لكنّها وا أسفا ! ليست لي

وبين الرمزية الاجتماعية والتصوف في شعر العدواني صلة قوية وذلك لأن التصوّف ثورة روحيّة تكون مواكبة للثورة الاجتماعية.
ويهتم العدواني بالفكرة أكثر من الصورة والهدف أكثر من الصدف فقد يظهر ضعف فني في بعض قصائده في قلة عذوبة جرس بأنه استخدم شعره لمجرد وسيلة تسجيلية لما في واقع أمته من أمراض اجتماعية وسياسية ولكنه آثر جمال الفكرة على جمال اللفظ فالموضوعات التي يبدأ بها تتعلق بالاتجاه الواقعي ولكن لم يستطع أن يحدّ نفسه في دائرة الواقعية ولا يزال يتجه إلى لون رومانسي فانظروا إلى قصيدة تدعو إلى الثورة على القضايا التي خلفها الاستعمار الغربيّ في مصر وغير مصر فهو يقول [11] :

لا..لن أنام وصحوتي لم تنف عن عيني قذاها نفس تبيت على شجى وأريد أعرف ما شجاها
إني مللت علالة السلوى وملّتني رؤاها لا..لن أنام وللظلام بغرفتي كف أراها
سأنير شمعتي الضئيلة ثم أسهر في ضياها وأبيت مرتقبا بنافذتي تؤرقني صباها
وأراقب الدرب المليء بعصبة ثقلت خطاها يمشون في حلق القيود وكلهم حر أباها
يتململون بعزمة وقدت رءوسهم دماها يتلمسون على الظلام طريقة ناء مداها

ويشير رائدهم إلى القمم البعيدة في علاها
يا رفقتي..شدوا على أقدامكم وانسوا أذاها هي خطوة أو خطوتان ويبلغ العاني رباها
سأظل أرقبهم وأرسل صيحتي يسري صداها يا إخوتي لا تيأسوا.. لم يبق إلا منتهاها

إني لأسمع أنه الأصفاد قد خارت قواها

ولايمكن أن تعدّ هذه القصيدة مجرد تعبير عن عواطفه الفردية بل أنه صاغ الواقعية بصياغة رومانسيّة جديدة امتزجت بواقع الحياة من حوله امتزاجا واضحا.
ولاريب في أن العدواني بعث في المجتمع الاحساسات الصادقة والسليمة بفنه الشعري، وعمله الفني مرتبط بكيان المجتمع عن طريق الجمال كما أجاب في حديث صحفي على السؤال عن نظرته إلى الجمال فيقول :
"أنا رجل أحبّ الجمال في كل شيء.. في الغروب... في الشروق... في الوردة... في الشجر... حتى الشجرة العارية لها جمالها، والواقع أن الحياة مشحونة بالجمال وأنها تحتاج لنظر عاشق الجمال يهيم فيه حتى يدرك ما في الحياة من أفانين الجمال، وقد ذكر في الأثر عن المسيح عليه السلام أنه مرّ ومعه جماعة على جيفة فنظر الجماعة إلى الجيفة فقالوا :
أفّ ما أنتنها وأقبحها

فنظر المسيح عليه السلام إلى الجيفة وقال :
ولكن ما أجمل بياض أسنانها
فإذا كان السيد المسيح يرى في الجيفة جمالا أو شيئا من الجمال فما أولانان نرى في كل حيّ جمالا"[12].
وأختم كلامي على قول حافظ محفوظ عنه :
ومهما قيل في شخصية أحمد العدواني وشعره، فإن من الثابت أنه دخل تاريخ الشعر في منطقة الخليج وحسبه خلودا أن جميع الكويتيين يتذكرونه كلما سمعوا نشيدهم الوطني الذي يقول في مطلعه :

وطني الكويت سلمت للمجد وعلى جبينك طالع السعد
يا مهد آباء الألي كتبوا سفر الخلود فنادت الشهب
الله أكبر أنهم عرب طلعت كواكب جنة الخلد

المصادر و الهوامش :

1. العدواني في عيون معاصريه، إعداد : علي عبد الفتاح، ص : 5-6 وأدباء من الخليج العربي : 39 – 43.
2. دورة العدواني، أبحاث الندوة ووقائعها لمجموعة من المؤلفين، ص : 7.
3. العدواني في عيون معاصريه، ص : 489.
4. نفس المصدر، ص : 12
5. العدواني في عيون معاصريه، ص : 30 – 31
6. مجلة البيان بالكويت، العدد 280 يوليو 1989م
7. العدواني في عيون معاصريه، ص : 170
8. نفس المصدر، ص : 197
9. نفس المصدر، ص : 49 (نقلا من ديوان الشعر الكويتي – وكالة المطبوعات، الكويت، 1974م
10. مجلة البيان، العدد 242 سنة 1986م، الكويت، ص : 120
11. العدواني في عيون معاصريه، ص : 42 – 43
12. العدواني كاتبا ورائدا لصدقي حطّاب ونيسمة الغيث، ص : 287
13. العدواني في عيون معاصريه، ص : 424
14. العدواني كاتبا ورائدا، ص : 301

© 2023 | Published by Scholars Middle East Publishers, Dubai, United Arab Emirates